بحث عام

عبدة آمون

عبد المنعم المحجوب

باحث ليبي

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة © 2015

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved © 2015

Mominoun Without Borders

الملخّص:

هذا بحث في بعض مظاهر العبادات والمعتقدات القديمة في الصحراء وشمال إفريقيا بالتوازي مع مصر، وهو ينظر إلى رسومات الحملان المحاطة رؤوسها بدوائر تمثّل هالة الشمس باعتبارها تجسيدًا لعبادة الشمس، وأساسًا لعبادة الإله آمون في مصر، ويتابع ما يسميه أعمار آمون المتمثلة في رحلاته التي اتجهت إلى مصر ثم النوبة، ثم عادت لتستقر في سيوة على تخوم ما يعرف بالصحراء الليبية، مع متابعة أهمّ المحجّات والمقادس التي كانت مكرّسة لآمون في القدم.

يلقي البحث الضوء على معتقدات الليبيين (سكان شمال إفريقيا القدامى)، ويقارن بين آمون السيوي وآمون الطيبي، كما يركّز على دراسة النسامون Nasamones وهي قبيلة (أو قبائل) قديمة يتضمّن اسمُها اسمَ الإله آمون، وكانت تتوطّن الجزء الغربي من شمال الصحراء الكبرى وتتحرّك تخومها بين عصر وآخر في الجغرافيا، وهي التي تعرف الآن بدولتي ليبيا ومصر.

يسعى البحث أيضاً إلى الإجابة على عدة أسئلة منها:

- هل لتقديس الحملان في شمال إفريقيا صلة بعبادة آمون؟
- كيف اتّحدت عبادة الشمس بعبادة آمون متجلّيةً في "آمون رع"؟
- هل لتقديس الكباش في النوبة صلة بتقديس الحملان؟
- ما أثر غياب التدوين في التأريخ للمعتقدات والعبادات القديمة؟
- ما أثر فهم العبادات القديمة في رتق الفجوات التاريخية بين شمال إفريقيا ومصر؟

1- مدخل

لطالما طرح السؤال حول ما إذا كانت لرسومات الحملان والكباش في شمال إفريقيا والصحراء صلةٌ ما بالإله «آمون»[1] في مصر! هل يجري الحديث عادةً عن إلهين مختلفين أخذا الاسم ذاته؟ أم عن إله واحد تنوّعت تجلياته واختلفت باختلاف البيئة فنُسبت إلى أكثر من إله؟ إنّنا نجد الحَمل المقدس في أمكنة كثيرة من الساحل والصحراء غرب وادي النيل، ونجده بعد ذلك كبشاً يحمي البهو المؤدي إلى معبد «آمون رع» في الأقصر، فما العلاقة بينهما؟

أحاول هنا تعيين هذه العلاقة بالبحث في أصول لا يبدو الكثير منها متاحاً، مستفيداً مما أستطيع تحديده من شواهد، مذكّراً دائماً بأنّنا نقرأ تاريخين نراهما مستقلَّيْن ولا نوليهما الاهتمام ذاته، بينما نحن نقرأ في حقيقة الأمر متن تاريخ واحد من زاويتين مختلفتين. إنّ رؤيتي لموضوع هذا البحث هي – بكيفية ما – انعكاس لمنهجه كذلك.

لنأخذ في الاعتبار أولاً أنّ أحد المسارات الحضارية الكبرى مع انحسار العصر الجليدي الأخير الذي بدأ قبل 10.000 ق.م. كان يتجه من الصحراء إلى وادي النيل الذي تحوّلت مستنقعاته تدريجياً إلى أرض صالحة للتوطّن والزراعة، في الوقت الذي تصحّر فيه غطاء السافانا غرب النيل ليتحوّل إلى أرض قاحلة على ما هي عليه الصحراء الآن. واتجاه هذا المسار ينسحب كذلك على مظاهر حضارية مختلفة أهمها التحنيط الذي يُعتقد الآن أنّه بدأ في مكان ما من الصحراء، ويدلّ على ذلك ما يعرف بين الآثاريين باسم «المومياء السوداء» التي تعتبر أقدم مومياء مكتشفة في إفريقيا، وقد عُثر عليها في تجويف صخري في «وان موهي جاج» في الصحراء الكبرى جنوب ليبيا، وقدّرت بـ 5600 سنة.

في تضاعيف هذا الزمن الضائع كان الليبيون القدماء (سكان شمال إفريقيا) يزيّنون جدران الكهوف ومسطّحات الجبال برسومات مستقاة من بيئتهم المتنوّعة والغنيّة بعدد كبير من الحيوانات والنباتات، ويحوّلون صخور بيوتهم ومراعيهم إلى سجلّ فني ما زال قائماً إلى اليوم، ومن تلك الرسومات المتقنة نعثر على صور مختلفة لحمل بقرنين يعلوهما قرص الشمس.

[1] اسم آمون يعني «الخفيّ»، ويمكن مقاربة هذا الاسم بالكلمة العربية «أمن» التي تشي بعض دلالاتها بالخفاء، وبكلمة «أُمَان» (بضم الهمزة) أي المتديّن أو ذو الدين، وتبدو صيغة الاسم متوافقة مع «آمين» التي يرددها المسلمون عقب الدعاء أو قراءة سورة الفاتحة، ويعتقدون أنّها من أسماء الله، كما لا يمكن إغفال صلة كل هذه الكلمات بكلمة «إيمان» والأصل في دلالتها ما وقر في القلب من تصديق. وهناك كلمة أخرى مشتركة بين جميع اللهجات البربرية لعله من الممتع إحالتها إلى آمون وهي «أمان» أي «الماء».

إنّنا لا نعرف ما إذا كان أولئك الذين رسموا الحمل في أكثر من مكان بين شمال إفريقيا والصحراء إنّما أرادوا أن يعبّروا عن عقيدة دينية ما، وأنّهم رسموا إلهاً أو معبوداً على هذه الصورة، أو أنّ هذه الرسومات هي امتداد طبيعي لسلسة نقوش ورسومات ما قبل التاريخ المنتشرة في شمال إفريقيا، ولم يكن الباعث وراءها دينياً بالضرورة، فكل ما نراه هنا هو مجرد رسومات وتصاوير، لنا أن نخمّن ذلك ونحن نفكّر في الوقت نفسه في صور الأبقار والثيران والخيول والفيلة والزرافات ووحيدات القرون وغيرها من الحيوانات البريّة والمستأنسة.

كان أمر هذه النقوش والرسومات سيختلف بكل تأكيد لو أنّ نوعاً من التدوين قد انتشر في ذلك الزمن، لكنّا قد عرفنا إذن ماذا تعني صور الحيوانات والحيوانات المؤنسنة أو الآدميين برؤوس حيوانية كما لو أنهم ارتدوا أقنعتهم لحرب أو لحفل، وغير ذلك من الأشكال الغريبة التي نطلق عليها أسماء وعناوين مجازيّة لأنّنا لم نقف على حقيقة موضوعاتها. لعلّنا - من جانب آخر - سوف نكتشف يوماً ما أنّ هذا السجلّ العظيم من النقوش والألوان إنّما كان أسلوباً في الكتابة اهتدى إليه الليبيون القدماء ولم نفكّ طلاسمه بعد!.

في كل الأحوال، نجد بتقدّم الزمن ما يكفي من الوثائق والمعلومات لدى المؤرخين الإغريق والرومان لفهم أنّ الليبيين قد قدّسوا الحمل فعلاً، وأنهم - بالرغم من غموض صورة البانثيون الليبي - عبدوا الشمس وقرّبوا لها القرابين، وجعلوا منها إلهاً أعلى.

2– آمون وعبادات الليبيين القديمة

ظهرت الحملان والثيران التي تحمل قرص الشمس على قرونها في أمكنة كثيرة من شمال إفريقيا، ولكن رسومات الحملان هي الأكثر انتشاراً في الساحل والصحراء، مع تركّزها بعدد أكبر في الأطلس الصحراوي؛ وتعود رسومات المقادس القديمة إلى 5000 ق.م، وإن كنا لا نستطيع تحديد ما إذا كانت هذه المقادس قد تحولت إلى معابد دائمة، أم أنّها قدّست بوصفها أنصابًا فقط بهذه الرسومات التي يسود الاعتقاد بأنّها كانت ترمز لعبادة الشمس، أو أنّها مثّلت قرابين سيقت إلى الآلهة.

إنّنا مقابل ذلك نجد أنّ تصوير كباش آمون في مصر يعود إلى 2000 ق.م. بينما يعود به البعض إلى بداية عصر الهكسوس، أي مع 1800 ق.م. وبالرغم من عدم وضوح البانثيون الليبي بشكل كامل إلاّ أنّ ذلك لا يمنعنا من القول بأنّ عبادة آمون قد كانت منتشرة بين الليبيين الشرقيين أثناء إقامة معبد سيوة في عهد الملك أحمس أشهر ملوك الأسرة السادسة والعشرين (663 -525 ق.م)، وظهور معبد أوجلة بعد ذلك يمهّد للقول إنّ عبادة آمون كانت تتبوأ مكانة كبيرة بين عبادات

الليبيين القديمة، وهو ما نكتشفه أيضاً من تجلي آمون في الإله الصحراوي قرزل وفي اقترانه بالإله بعل حمون.[2]

يلقي هيرودوت في الكتاب الرابع من التاريخ العام بعض الضوء على عبادات الليبيين القديمة، فهو يشير إلى تقديس آمون وإيزيس، وإلى الأصل الليبي لبوسيدون وست، ويقول في موضع آخر عن القبائل الليبية إنّ أفرادها: «يقدمون القرابين للشمس وللقمر اللتين يشترك في عبادتهما الليبيون جميعاً»، بل إنّهم لم يكونوا يقدمون القرابين لغير الشمس والقمر، باستثناء المقيمين عند بحيرة تريتونس الذين يقدمون القرابين لأثينا (= تانيت) وبوسيدون.

قدّس الليبيون القدماء أيضاً جنبات الجبال والصخور، ويشير بومبونيوس ميلا Pomponius Mela وبليني الأكبر إلى صخرة في برقة كان لمسها محرّماً بين الأهالي خوفاً من هبوب رياح الجنوب [القبلي]. وقدسوا الأنهار ومصادر المياه الأخرى كالعيون والآبار، وقد أشار أغسطين (354 - 430 ق.م) إلى أنّ النوميديين كانوا يمارسون في يوم 24 أغسطس من كل عام طقس الغطس في البحر. هذا إلى تمييز بعض الأشجار بالقداسة، وقد ورد أنّ مجمعاً دينياً في القرن الرابع طلب من الإمبراطور الروماني أن يبطل - بالإضافة إلى عبادة الأوثان - عبادة «الأشجار والغابات».

أما الأسماك فقد كرّمت ومُنحت تقديساً كبيراً، في تونس خاصةً، حيث تنتشر ألواح الفسيفساء التي تمثل الأسماك ربما أكثر من أي مكان آخر في العالم، ما قد يدلّ ربما على تقديسها لا على مجرد كونها فقط مصدراً رئيسياً للغذاء، وهي دون شك من رموز تانيت، وكان المحار رمزاً للأنثى في كل إفريقيا الصغرى.

وقد عرف الليبيون عبادة أرواح الأسلاف المؤلهة وكانت تتم كما في رواية هيرودوت عن النسامون، أو كما في رواية ميلا[3] عن أهالي أوجلة، بأن يناموا على قبورهم فيحصلون على المشورة التي يريدونها على شكل رؤى وأحلام.

أما الحيوانات، فكانوا يقدسون منها الأسد والثور والكبش، وقد أشار كورييوس Corippus إلى أنّ الثور كان يمثل معبودهم قرزل (غرزل) Gurzil، وهو ابن آمون، وأشار أثناسيوس Athanasius إلى أنّ

[2] وُحد هذا الإله مع ساتورن أيضاً، وكلمة «حَمُون» في بعض اللهجات الأمازيغية في الجزائر والمغرب دالة على الحَرّ، وهي «حَمُو» في اللهجة الليبية والتونسية، وبقدر ما تحيل هذه الكلمة إلى «حمون» لكونه رباً للحرّ، فإنّنا يجب ألا ننسى أنّها تماماً الكلمة العربية «حَمُو» كما في قولنا «حَمُو الشمس» أي حرُّها.

[3] ميلا، الفقرة (1:8).

الليبيين اعتبروا الكبش مقدساً تحت اسم مأون، وهذه صيغة أخرى للإله آمون، كما أنّنا نجد هذه الحيوانات مجسّدة في معظم آثار شمال إفريقيا.

كما قدّس الليبيون أثينا وأفروديت وإيزيس، وهو كما يبدو مظهر من مظاهر تقديس تانيت، بينما كانت عبادة بعل حمون في المدن الفينيقية ـ القرطاجية على الأغلب مزيجًا من تقديس الإله الكنعاني بعل مع الإله آمون.

ويذكر غوتييه Gautiers في «ماضي شمال إفريقيا» أنّ البربر الشرقيين كانوا يقدسون الثور، وأنّ البربر الغربيين كانوا يقدسون الحمل، ويذكرنا الثور الذي تحيط هالة برأسه بهاتور المصرية، كما يذكرنا الحمل ذو الهالة بآمون. «ولكن من أين أتت هذه القرابة؟ في البداية كان الأمر يبدو يسيراً، فمن السهل الاعتقاد بأنّ المغرب قد استعار آلهته من مصر، أمّ الديانات كلها، أما اليوم فبتنا نعرف أنّ قرابة هذه النقوش مع مصر تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، أي العصر الذي لم تكن فيه مصر كما نعرفها موجودة. ويقيننا أنّ هاتور قد تحدرت من الإله الثور المغربي، وأنّ آمون تحدّر من الإله الحمل».

3– عبادة الشمس في مصر

قرص الشمس من الصور الأكثر قدماً في مصر، وقد عثر عليه مرسوماً في كل مكان تقريباً من حضارات ما قبل التاريخ. في عصر ما قبل الأسرات نجده على أواني جرزة الفخارية، وهي حضارة تعود إلى 4000 ق.م. ظهرت في مصر الوسطى (بني سويف)، وفي نقوش نقادة الأولى (قرية العمرة – محافظة سوهاج) (3900 - 3650 ق.م) أين عُثر على نقش لثور يعلو قرنيه قرص الشمس، وغير ذلك من الشواهد البدائية التي تدلّ على بدء تصوير الآلهة في المعتقدات المصرية، فعبادة الشمس في مصر قديمة قدم استيطان وادي النيل، وبداياتها الغائبة عن التدوين هي أساسٌ ميثولوجيّ ذو صلة بالتنوع المذهل الذي نعرفه في آلهة المَجمع المصري، فالشمس كانت دائماً إلهاً أعلى، وتمثيلها في «رع» جعل منه خالقَ نفسه ومتجدّداً على الدوام، ومثلما كان وجوده منذ الأزل بالنسبة إلى المصريين فإنّه سيرافقهم حتى آخر أزمنة الدولة المصرية الحديثة، محتفظين به كما رُسم في البداية أي في صورة قرص الشمس، أو في إحدى تجلياته الكثيرة كما في «حورس أختي» (حورس الأفق) في صورة قرص مجنّح، بينما سيمنح الملوك لأنفسهم نسباً إلهياً يجعل منهم أبناءً لرع وحورس، مثل: «حور عا» أو حورس المحارب، وهو ثاني ملوك الأسرة الأولى، و«رع نب» ثاني ملوك الأسرة الثانية، وهو اسم آخر لحورس، و«رع جدف» أو رع الثابت، ثالث ملوك الأسرة الرابعة، و«خف رع» الملك الذي يليه، وهو الذي بنى الهرم المعروف باسمه.

إنّنا إذا تحدثنا عن تمييز «آمون» وإعلائه بعد ذلك في زمن الأسرة الحادية عشرة (2134 - 1991 ق.م)، فإنّنا سنجده قد تحقّق تدريجياً بإسباغ صفات «رع» عليه إلى أن تجلّى في زمن الأسرة الثامنة عشرة (1292 - 1550 ق.م) باسم «أمون رع» باعتباره ربّاً لجميع الأرباب، وملكاً لجميع الآلهة، ومعبوداً لجميع المصريين.

4– أعمار آمون

نستطيع بشكل ما الحديث عن مراحل عمر الإله «آمون»، كما نستطيع الحديث عن أرض ولد فيها، وعن أرض ترعرع فيها، وأخرى هاجر إليها، وهكذا. فهل عبر آمون من طيبة إلى شمال إفريقيا؟ أم أنّ رحلته هذه كانت أشبه بعودة إلى الأرض الأم التي غادرها في زمنٍ ما قبل أن تكتمل ملامحه المقدّسة، أي عندما كان يُرسم حَملاً يعلو قرنيه قرص الشمس؟

قبل أن يُعلى شأن آمون بين الآلهة في عصر الدولة الوسطى كان إلهاً صغيراً من آلهة أشمون (هرموبوليس)، ويعني اسم المدينة «ثمانية»، إشارة إلى آلهتها الذين كانوا في أربعة أزواج من ثمانية عناصر أولى، ويضم كلّ زوج عنصرين (إلهين) مذكّر ومؤنث، وقد صورت العناصر المذكرة على هيئة ضفادع، بينما صوّرت العناصر المؤنثة على هيئة حيّات، وهي التي تشكل الثامون المقدس، أو «أجدود»، وتتكون من: نون ونونيت أو نونة (إلها الماء الأزلي)، حوح وحوحيت أو حوحة (إلها الفراغ)، كوك وكوكيت أو كوكة (إلها الظلمة)، آمون وآمونيت أو آمونة (إلها الخفاء)، بينما خرج الإله الشمس من بيضته ليبدأ تنظيم العالم المتولّد عن هذه العناصر.

وقبل أن تحل «موط» محلّ «آمونيت» في عصر الأسرة الثانية عشرة، كانت «أمونيت» بتاجها الأحمر وصولجانها حاميةً للفرعون، وكُرّست لها الأدعية والصلوات، وظل اسمها يتردّد حتى عصر البطالمة (323 - 30 ق.م)، ثمّ قرنت بـ«نيث»، وهي الوحيدة بين إلهات الثامون التي نالت هذا الاهتمام، ويمكننا قراءة اقترانها بـ«نيث» سبباً لما سيحدث بعد ذلك من اقتران «آمون» متجلياً في «بعل حمون» بالإلهة «تانيت» التي رأى فيها الليبيون تجلياً للإلهة «نيث».

من بين أزواج هذا الثامون، إذن، سوف يبرز الزوج آمون – آمونيت، ليظلّ حيّاً وتنتشر عبادته في كل العصور اللاحقة، وكان تكريس آمونيت بشكل مستقلّ قد أعاد آمون إلى ما قبل ابتكار هذا الثامون، ولكن بشكل أوسع امتدّ أثره إلى جميع الأقاليم المصرية ومنها إلى الأقاليم المجاورة غرباً وجنوباً.

لقد أرّخت متون الأهرام والكتابات الأولى لنشأة عقائد الديانة في مصر وتطورها، ورأت في آمون إلهاً أوّل، وجعله الكهنة بعد ذلك أكثر قدماً من الآلهة الأخرى، وكالهواء الذي لا يُرى ويتغلغل في كل شيء ظلّ آمون إلهاً خفيّاً يتجّلى في الرياح، وظل مقدسه في أشمون حتى عصر الأسرة الثانية عشرة حيث نقله أمنمحات الأول (حكم من 1991 - 1962ق.م) إلى طيبة ليتحوّل بذلك إلى إله «رسميّ» للدولة، الأمر الذي حدا بالكهنة إلى إعلاء شأنه فجُعل إلهاً قديماً خلق نفسه وخلق العالم تباعاً، وصوّر في هيئة ثعبان وُجد منذ الأزل وعنه تجلّت الآلهة الأخرى.

كانت العلاقة بين القبائل الليبية والدولة المصرية في عهد أمنمحات الأول علاقات كرّ وفر، ما دفع بالملك إلى إقامة خط من التحصينات على تخوم الصحراء لدرء غزوات القبائل، وأوكل قيادتها لابنه سنوسرت الأول الذي سيصبح بعد ذلك ثاني ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويمتد حكمه 43 سنة. ومع الانتصارات التي حققها ملوك الأسرة الثامنة عشرة بعد ذلك انتشرت عبادة آمون في صورة آمون رع في أقاليم الجوار، ونستطيع بدءًا من هذا الزمن الحديث عن رحلة العودة التي قام بها آمون ليستردَّ أرضه الأم.

5– ترقيّات آمون

لقد مرت عبادة آمون في مصر بمراحل مختلفة بين ظهور وخمود، ونستطيع بشكل عام تحديد ثلاثة مسارات رئيسية لهذه العبادة تبدأ بالدولة القديمة (2635 -2140 ق.م)، وفيها كان آمون إلهاً محليّاً صغيراً، ربما بالتزامن مع رحلته الأولى من الصحراء إلى وادي النيل، ثم الدولة الوسطى (2060 1785 ق.م)، وفيها أصبح إلهاً للأسرة الحاكمة وحامياً لها، وكان يمنح شرعيّة السلطة للملك بمنحه الصولجان أو علامة الحياة (عنخ)، ثم الدولة الحديثة (1550 -1070 ق.م) وفيها أصبح إلهاً للدولة بأسرها وما يتبعها من أقاليم خارج الحدود المصرية.

مع أحمس أول ملوك الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة) أصبحت عبادة آمون عقيدة عامّةً ينظّمها الكهنة ويشترك فيها الملك والشعب، وأصبح «آمون رع» يجمع بين الانتشار الكبير للإله «رع» وبين قوة الخفاء التي تميز الإله «آمون»، ولم يستطع إله أو اقتران آلهة آخر أن يواجه هذا الاتحاد، فتغلغلت عبادة «آمون رع» وسيطرت على جميع المعابد المصرية، بل إنّ أخناتون (حكم بين ~ 1319 – 1336) عندما أراد تقويض سيطرة كهنة آمون بالدعوة إلى عقيدة جديدة يتم فيها توحيد جميع الآلهة في آتون، وهو الاسم الذي أعطاه لقرص الشمس، باءت محاولته بالفشل، وعاد كهنة آمون أقوى من ذي قبل في عهد توت عنخ آمون.

6– آمون السيوي وآمون الطيبي

ازدهرت عبادة آمون منذ زمن غير محدّد، أما الأمونيات[4] Ammoniakos فقد عرفت انتشاراً واسعاً في القرن الخامس ق.م. في معظم مدن الساحل والصحراء وواحاتهما، وبالرغم من المبدأ الواحد لعبادة آمون في مصر وليبيا القديمة إلا أن آمون الليبي (السيوي) يختلف عن آمون المصري (الطيبي)[5] في أنّ الأول كان إلهاً للنبوءات والوحي، بينما كان الثاني إلهاً للإخصاب والحصاد قبل أن يُجعل كبيراً للآلهة باسم أمنرع (آمون رع)، وتعبّر عنهما الشمسُ معاً، والريح كذلك، وإن فهمنا أنّ رياح آمون الطيبي كانت جالبةً للسحاب، وهادية للقوارب والسفن، بينما كانت رياح آمون السيوي جافةً وحارقة. ولا يُدرى أيّ التجليات كانت الأسبق، أو لعلّها كانت واحدةً في الأساس، وقد جعل هيرودوت الآمونيين غير المصريين موطناً ولغةً، قائلاً: «الآمونيون هاجروا من مصر وإثيوبيا، ويتكلمون لغة وسطاً بين لغتي الشعبين»[6]، وربما نستطيع الحديث بشكل واضح عن آمون الطيبي وآمون السيوي منفصلَيْن ابتداءً من القرن الخامس ق.م. بعد أن تمكّن رمسيس الثالث من التحكم في الواحات الغربية، «حيث كانت عبادة آمون إله طيبة منتشرة، وبصفة خاصة في واحة سيوة[7] («سخت إيما» أو «أرض النخيل»)، حتى وصلت تدريجياً إقليم طرابلس على طول البقاع الجافة».[8] لتشهد تجليات آمون بانتقالها غرباً صوراً جديدة، وتُخصَّص لبيئة صحراوية تختلف عن بيئة وادي النيل.

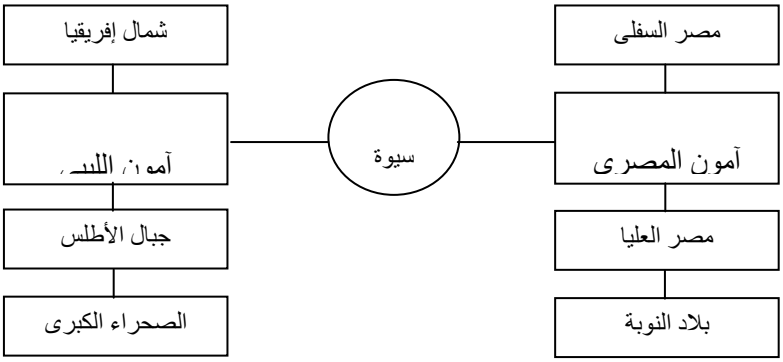

[4] الأمونيات Ammoniakos هي التسمية الإغريقية لمعابد آمون.

[5] أقدم ظهور لاسم آمون في مصر كان في متون الأهرام (تؤرّخ من 2400 إلى 2300 ق.م)، ولم توثّق عبادته بعد ذلك إلا في طيبة في عهد الأسرة الحادية عشرة (بين 2134 ق.م. و1991 ق.م.).

[6] هيرودوت، الفقرة (2: 42).

[7] تقع سيوة على بعد 300 كم جنوب غرب براتينيوم (مرسى مطروح) ويقع معبد آمون على تبّة أغورمي على بعد 3 كم من مدينة سيوة. وهي موقع يمتد استيطانه عميقاً في التاريخ إلى الحجريم (العصر الحجري القديم) والحجريد (العصر الحجري الجديد) حسب الشواهد الحجرية، وتعود أقدم سجلات سيوة التاريخية إلى أسر المملكة الوسطى (2050- 1800 ق.م) والمملكة الحديثة (1570 - 1090 ق.م) في مصر الفرعونية ولكن لا يبدو أنها كانت تحت حكم الفراعنة خلال هذه الأزمنة، لغياب الشواهد الدّالة على ذلك من مباني هذه المرحلة ومخلفاتها، وهي ليست غنية بالآثار إذ لا تعدو الآن أن تكون – في وصف للجوهري (ص12): «تلالاً وجبالاً مقدّسة تطوف حولها الروايات الغامضة وتحفّ بها الأسرار المجهولة».

[8] تارخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، ص 441

ومع انحسار عبادة آمون في مصر في عصر متأخر، فإنّ تقديسه في ليبيا ظلّ، وخاصة في الدواخل البعيدة عن الساحل الشمالي الذي عرفت مدنه العقائد والعبادات المصرية والكنعانية (الفينيقية) والإغريقية والرومانية، بالإضافة إلى اليهودية والمسيحية، وكانت تضفي على الدوام مسحةً محليّة على كل طقس ديني يفد إليها، وتدمجه بما سبقه من عقائد وعبادات ليبية سابقة.

من المرجّح أنّ عبادة آمون في ليبيا كانت سائدةً حتى قدوم الإسلام، ومن الإشارات المتأخرة عن ذلك ما كتبه بروكوبيوس القيصري في كتابه: العمائر، قائلاً إنّ أوجلة اسم يشار به إلى مدينتين (يعني جالو وأوجلة)، وهما: «مدينتان قديمتان احتفظتا بعبادات الأقدمين [وكان المؤرخ نصرانياً كاثوليكياً]... وتوجد هنا معابد من الأزمنة الغابرة مكرّسة لآمون والإسكندر المقدوني [بعد أن تم تعميده ابناً لآمون وأصبح مؤلّهاً]، وقد تعوّد الأهالي فعلاً أن يقدموا لها القرابين حتى عهد الإمبراطور جستنيان [أي الزمن الذي عاش فيه المؤرخ]، وفي هذا المكان عدد كبير ممن يدعون عبيد الهيكل أو المعبد [أي سدنته والقائمين على خدمته]». ثم يشير إلى أنّ الامبراطور جستنيان «علمهم مذهب العقيدة الحقة [يعني الكاثوليكية] فحوّل السكان جميعهم إلى النصرانية ومهّد السبيل لتبديد عادات أجدادهم الرجسة، وبنى لهم كنيسة مكرسةً لأم الرب [يعني مريم العذراء] لتكون حارساً لأمن المدينتين وعقيدتهم».[9]

لقد عاش بروكوبيوس حتى 560م تقريباً، ويُفهم مما كتبه عن أوجلة أنّ عبادة آمون كانت متجذرة بين الليبيين، وأنّهم لم يعتنقوا المسيحية بشكل واسع، وأنّها تركّزت في المدن الرومانية الساحلية، بينما ظلت الدواخل ومدن الصحراء على عقيدتها الأولى (الإيمان بآمون) حتى الفتح الإسلامي.[10]

7– صُوَر آمون

صُوّر آمون برمز الكبش الذي يعلوه قرص الشمس، ويعتبر القرنان تمثيلاً لعبادة القمر (الهلال) المقترنة بعبادة الشمس. ولم يكن الكبش رمزاً مقصوراً على الإله آمون وحده في مصر القديمة، فقد كان رمزاً لغيره من الآلهة قبل أن يُنسب إليه، إذ نجده ممثّلاً للإله «خنوم» خالق الإنسان من طين النيل وإله أسوان ومنف وكان مقدسه الرئيسي في مدينة إلفنتين، ونجد الكبش أيضاً ممثلاً للإله «حرشف» الذي قُرن في فترة ما برع ثم بآمون، على أنّ كبش آمون يتميز بأنّ قرنيه يلتفّان حول الأذنين، مختلفاً بذلك عن الكباش الأخرى التي تبدو قرونها ممتدة أفقياً. ويعيد بعض الباحثين ظهور كبش آمون إلى عصر الهكسوس الذين وفدوا إلى مصر إبان

[9] المحجوب، مادة آمون.

[10] بدأ انتشار الإسلام في شمال إفريقيا بعيد قدومه إلى مصر سنة 641م.

نهاية الدولة الوسطى، الأمر الذي يشي بأنّ إضفاء صفات الإخصاب على آمون من خلال رمز الكبش قد يكون ذا أصول ساميّة وافدة مع الهكسوس الذين ضمت صفوفهم عدة أعراق.

كما صوّر آمون على هيئة رجل على رأسه قلنسوة مزينة بريشتين طويلتين، وهو شعار عدد من القبائل الليبية القديمة. ولم يعثر له على وثنٍ غربَ النيل[11]، فهو - كما يذكر أوريك بيتس – لم يكن مشخّصاً في أعين أتباعه تشخيصاً بشرياً ولا حيوانياً. فالليبيون كما يبدو «لم يعبدوا آلهة كبرى ممثلة في صورة بشرية أو شبه بشرية، وطبقاً لهيرودوت[12] فإنّهم كانوا لا يقدمون قرابين إلاّ للشمس والقمر»[13]، أي لآمون أو لأحد تجلياته المعبودة، «ومع هذا فإنّ سكان منطقة الجريد كانوا أكثر ميلاً لتقديم القرابين إلى أثينا [تانيت] وتريتون وبوسيدون، بينما لعن الأترنتيون - وهم الجيران الغربيون للغرمنت - الشمس. ويحكي شيشرون Cisero أنّ ما سينيسا قدّم الشكر للشمس وغيرها من الآلهة في السماء، وقد استمرت عبادة الشمس في عدة مدن في إفريقيا الرومانية مثل مكثر والثيبيروس ودقّة وسبيطلة، ولكن لا بد أنّ هنا وهناك بعض التأثيرات البونية (القرطاجية)».[14]

8– ألقاب آمون

من ألقابه العديدة: الأب، المعين، نبيّ الغرمنت، ذو القرنين، عالي المقام، المرعِد، سيد الأولمب، واللقب الأخير أطلقه الشاعر بندار في قصيدة أرسلها إلى كهنة آمون في سيوة قائلاً: «أيا آمون يا سيّد الأولمب»، أمّا في مصر فقد نودي نصيرَ الفقراء، وراعي الضعفاء، وحامي العدالة، وملك تاجي الأرضين.

9– توحّدات آمون

وُحّد آمون بأكثر من إله ومعبود، ففي مصر قُرن برع في أمنرع (آمون رع)، وفي قرطاج قُرن ببعل الكنعاني في بعل حمون، وأصبح سيد الآلهة في قرطاج وأقاليمها مرفوقاً بعبادة الإلهة تانيت. وبعد هزيمة قرطاج أمام الرومان، ورومنة المدن الليبية، قُرن آمون بجوبيتر، وعُرف باسم جوبيتر آمون، بينما قُرن بعل حمون بساتورن. أما في قورينا الإغريقية فقُرن بزيوس، وأصبح معبد آمون فيها يُشار إليه بهذا الاسم، أي

[11] كان آمون معبوداً أعلى في عصر الدولة الحديثة، وقد شيّد ملوك هذه الدولة 9 معابد مكرّسة لآمون، وفي ذلك العصر تم تصويره بأشكال مختلفة أشهرها الصورة الآدمية وصور حيوانات مؤنسنة مثل الكبش والصقر والتمساح والأوز والضفدع.

[12] هيرودوت، الفقرة (4، 188).

[13] جيهان. 451.

[14] ن.م.

زيوس آمون، وأطلق عليه الإغريق اسم زيوس سيوة، كما أطلقوا على المركب الإلهي المقدس اسم: سلامينا أمونياس. وقد روى هيرودوت أسطورةً عن أخوّة الإلهين آمون وزيوس لا بد أنّها كانت مما يردّده الإغريق في ذلك الوقت، فذكر عن منشأ الوحيين (الليبي واليوناني) روايتين عن كهنة زيوس الطيبي وعرافات دودونا، فهما إمّا امرأتان مقدّستان، أو حمامتان سوداوان، من طيبة. قال في الكتاب الثاني: «هذا ما يقوله المصريون بشأن الهاتفين اللذين يوجد أحدهما عند الإغريق والآخر في ليبيا. قال كهنة زيوس الطيبي إنّ الفينيقيين قد خطفوا امرأتين مقدّستين من طيبة، وإنّهم عرفوا أنّ إحداهما قد بيعت في ليبيا والأخرى في اليونان، وإنّ هاتين المرأتين هما اللتان أنشأتا الوحيين أول الأمر عند الشعبين المذكورين... هذا إذن ما سمعته من الكهنة في طيبة، وفي ما يلي ما روته عرّافات دودونا. طارت حمامتان سوداوان من طيبة التي في مصر، ذهبت إحداهما إلى ليبيا وجاءت الثانية إليهم. وعندما حطت هذه فوق شجرة سنديان أعلنت بصوت آدمي أنّه يجب إنشاء هاتف (موحى) لزيوس هناك. وأدرك القوم أنّ هذا نبأ جاءهم من إله. وتصديقاً له أقاموا الهاتف. أما الحمامة الثانية التي توجهت إلى ليبيا فتقول العرافات إنّها أمرت الليبيين بإقامة وحي آمون، وهو أيضاً خاص بزيوس»[15]. ويبدو أنّ هاتين الروايتين صدى لمعتقد مصري يتعلق بالنوّاحتين إيزيس ونفتيس وهما اللتان كان المصريون يصورنهما على شكل حدأتين.

10– تجليات آمون

كان آمون حسب رواية المؤرخ اليوناني ديودوروس سيكلاس Diodorus Siculus ملكاً أسطورياً ألّهه الليبيون، لكنّنا لا نجد هذا الرأي عند غيره من المؤرخين القدامى، كما لم تُفصح عنه الأمونيات Ammoniakos أو الآثار الليبية القديمة، وهي رواية يمكن فهمها باعتبار أنّ تجليات آمون كانت متغلغلة في العقائد والأساطير والثقافات والعادات، فالليبيون اتخذوا من آمون اسم علم كان مفضلاً ومتداولاً بينهم، كما في اسم آريوس بن أمونيوس[16]، وأطلقوا اسمه على القرى والمدن كما في أمونكلا وأمونيس، وجعلوا اسمه حرزَ أمن ووقاية، وهم – دون شكّ – قد رووا عنه الكثير من الحكايات، ونسبوا إليه آلهة ومعبودات عديدة.

من تجليات آمون المعبودة التي انتشرت على نطاق واسع كان غرزل Gurzil أو إله قرزة المصوّر برأس ثور، والموصوف بأنّه «ابن آمون». ويذكر كوربيوس (القرن السادس الميلادي) أنّ الليبيين كانوا

[15] هيرودوت، الفقرة: (2: 54).

[16] مؤسّس مذهب الأريوسية، ولد في قورينا سنة 256م، وتوفى سنة 336م، درس اللاهوت ثم أصبح كاهناً للأسكندرية. دعا إلى واحديّة الأقنوم، وأنكر الثالوث، وقال إنّ «كلمة الله» مخلوق، وإنّ المسيح إنسان تمّ تأليهه، وعقد «المجمع المسكوني الأول» في نيقية سنة 325 فتمت فيه إدانة أريوس والأساقفة المؤيدين له.

يرفعون شعار قرزل في حربهم ضد البيزنطيين. وكان كاهنه يدعى جرنة، وهو قائد اللواتيين، وإلى اسم غرزل يُنسب الآن اسم قرزة Girza بالقرب من مدينة بني وليد.

11– بيوت آمون

تعدّدت بيوت آمون بانتشار عبادته وتقديس تجلياته، ويمكننا العثور على العشرات من معابد آمون الطيبي في مصر، سواء تلك المكرّسة له، أو التي أُشرك تقديسه فيها بآلهة أخرى، في أرض النوبة وحدها شيّدت 9 معابد في عصر الدولة الحديثة (1570 - 1090 ق.م)[17]. وتم في القرن الرابع ق.م. تشييد معبد سيوة[18] وعرفت الواحة باسمه أي «واحة آمون»، وهو المعبد الذي عُمّد فيه الاسكندر المقدوني عندما احتلّ مصر (332 ق.م) ابناً للإله آمون. أما قمبيز الفارسي قبل ذلك فكان قد أمر إبان احتلاله مصر (525 ق.م) بهدم معبد آمون السيوي وترك آمون الطيبي، حسب رواية هيرودوت، بسبب نبوءة أرسلها كهنة آمون تقول إنّ حكم الفرس لن يدوم طويلاً، وإنّ قمبيز سوف يهلك، فجهزّ جيشاً قوامه خمسون ألف جندي وبدأ زحفه من طيبة التي اتخذها مقراً لحكمه، ليهدم المعبد و«يذبح» آمون، ولكن الأدلاء المصريين قادوا قمبيز وجيشه إلى حتفهم وسط بحر من الرمال.

وفي السودان حيث اعتبر آمون إلهاً أعلى في نباتا كانت أشهر معابده هي الموجودة في جبل بركل بالقرب من النيل، ويعود إلى 1450 ق.م. أي إلى عهد تحوتمس الثالث، وفي المصورات الصفراء والكوة، وعثر مؤخراً على معبد آخر لآمون في منطقة الضانقيل شمال مدينة بربر (350 كم شمال الخرطوم) ويعود إلى القرن الأول ق.م. وفي القرن الأول الميلادي وما بعده تم تشييد معابد أخرى لآمون في مروى والنقعة ووادي بنقعة. أمّا آخر المعابد المكتشفة فعثر عليه مدفوناً في موقع الحاصا شمال الخرطوم، ويعتبر حتى الآن أبعد معابد آمون باتجاه الجنوب.

أمّا غرب النيل وعلى ساحل شمال المتوسط فقد نال وحي آمون الليبي شهرة عالية وانتشرت بيوته في كل مكان تقريباً من ليبيا القديمة (شمال إفريقيا)، ومما يمكن ذكره من هذه المعابد: معبد أوجلة، وكان محجّاً مشهوراً؛ ومعبد طبرق، وكان يعرف باسم أمونوس؛ ومعبد بنغازي، وكان يعرف باسم تل آمون (يلفظه

[17] كان معبد الكرنك الذي يعود إلى الأسرة الثامنة عشرة، مقرّ ثالوث طيبة ويجمع آمون وزوجته موط وابنهما خنسو (القمر)، ثم شيّد لهم أمنحوتب الثالث (1405 - 1370) معبداً آخر في الأقصر، وقد أضاف ملوك آخرون توسعات لهذا المعبد، وعندما زاره الإسكندر المقدوني أضاف مقصورة آمون في هيكل المعبد.

[18] تأثّر هذا المعبد في 1811 بهزّة أرضية قويّة أدّت إلى دمار جزء منه، وفي عام 1890 عمد مأمور سيوة ويدعى محمود عزمي إلى عمل أخرق ففخّخ المعبد وانتزع حجارته ليبني بيتاً له ومركزاً للشرطة.

الليبيون: طيلمون)؛ ومعبد خليج السدرة، وكان على ساحل سرت الحالية، ورجّح موقعان له هما أمونكلا وأمونيس؛ ومعبد سلطان (قرب سرت)، وهو الذي عرف لاحقاً باسم مذبح الأخوين فليني وسمّي أمونيس هالوس؛ ومعبد زاوية المحجوب، وهو معبد صغير قرن تقديسه بعبادة آمون وبعل حمون وتانيت؛ ومعبد بونجيم؛ ومعبد محيجيبة (ضواحي ترهونة)، وهو معبد صغير عثر فيه على نقش قرطاجي مكرّس لآمون يرقى إلى عام 16–17م.

12– وحي آمون

كان من أساليب الاستخارة عند القبائل الليبية اتخاذ المقابر موحًى لهم، فيصلون وينامون عليها مستطلعين المستقبل بما يرونه في أحلامهم[19]، «ويعتقد كامبس أنّ هذه الشعيرة هي السبب في وجود ركام ترابي في شكل منصة تعلو القبر، لكن يبدو أنّ الأضرحة الصحراوية التي تضم محراباً وغرفة كانت هي الأكثر توافقاً مع هذه العادة».[20]

ويمكننا قراءة ما ذكره هيرودوت عن الأطلنطيين وأنّهم «لا يرون أحلاماً في منامهم»[21] بعدم تقديس الأسلاف على هذا النحو، أي طلب وحيها بالنوم على قبورهم، عند أبناء هذه القبيلة، ولكن إذا كانت الأحلام أثناء النوم بالقرب من الأضرحة والمقابر ترشد الأفراد، فإنّ قبيلة بأسرها تستطيع أن تستخير كذلك فتطلب الوحي عن طريق كاهن آمون الذي كان يتّبع أسلوباً لا نعرف عنه شيئاً ولكن المستخيرين في ما يبدو لم يكونوا ليجرؤوا على عدم تنفيذ ما يطلب. وقد أورد هيرودوت في الكتاب الثاني من تاريخه كيف أنّ أهالي قبيلة في مدينة أبيس[22] كانوا يعتبرون أنفسهم ليبيين مختلفين عن المصريين لغةً ومعاشاً، فرفعوا إلى الموحى طلباً بموافقة آمون على أن يحلّل لهم ما هو محرّم على المصريين، يقول هيرودوت: «إنّ أهل ماريا وأبيس الذين يسكنون من مصر أجزاءها التي تتاخم ليبيا يعتبرون أنفسهم ليبيين لا مصريين، لما أثقلتهم الشعائر الدينية بما لا طاقة لهم به، ورغبوا في أن يأكلوا لحم البقر [وكان محرماً في مصر لعبادتهم إيزيس]، وأرسلوا إلى آمون مدعين أن ليس هناك شيء يجمع بينهم وبين المصريين، لأنّهم يسكنون خارج الدلتا، وأن ليس بينهم صلة في اللغة، وأنّهم شاؤوا أن يحل لهم أكل كل طعام، ولكن الإله لم يسمح لهم بذلك قائلاً: إنّ مصر هي البلاد التي

[19] انظر: معجم آمون، مادة نسامون.

[20] جيهان، ص 450

[21] هيرودوت، الفقرة: (4: 184).

[22] مدينة غرب النيل وشرق السلّوم، عيّن موقعها غرب بارايتونيوم (مرسى مطروح)، ولعلها زاوية أم الرخم على الحدود الليبية المصرية الحالية، وتقع حسب سترابو على مسيرة خمسة أيام من معبد آمون (سيوة).

يجري فيها النيل ويرويها، وإنّ المصريين هم الذين يقطنون البلاد مما يلي مدينة إلفانتينا ويشربون من ماء هذا النهر. هذا ما أجابهم به الوحي».[23]

13– عبدة آمون في ليبيا

انتشرت عبادة آمون في مصر من الدلتا شمالاً إلى بلاد النوبة جنوباً، وعلى امتداد شمال إفريقيا غرباً، ولها في الصحراء الكبرى مواقع ومعابد متفرقة، وبينما لا نعرف ما إذا كانت شعوب إفريقية محدّدة قد عبدته، باستثناء الكوشيين، نجد أنّ جميع القبائل الليبية القديمة قد عرفته، وإن تركّزت عبادته عند بعضها فقط، حسبما تدل الشواهد وبقايا المعابد الموجودة حتى الآن.

لقد ظهرت عبادة محلية للكبش الكوشي في كرمة بالنوبة قبل خضوعها لسلطة الدولة المصرية، ويمكننا النظر إلى هذه العبادة باعتبارها استمراراً لعبادته في الصحراء الكبرى، أما إبان عصر الدولة المصرية الحديثة فقد كانت كوش خاضعة لها، وفي هذه المرحلة اقتُبس هذا الشكل فظهر جنوباً في مملكة مروي بهيئة آدمية لها رأس كبش في المعبد الرئيسي وفي عدة أيقونات مروية أخرى، وأخيراً فإنّه يظهر في أبي سمبل بهذا الشكل مع قرص الشمس الذي يعلو رأسه بالإضافة إلى صلّ ضخم لم يُر سابقاً بهذه الكيفية، وإن كانت الحيّة قد ظهرت سابقاً باعتبارها رمزاً لآمون، ويشي ظهور آمون في صورة كبش – إجمالاً – بالاتحاد بين آمون الطيبي والكبش الكوشي.

فإذا ما تركنا سيوة شرقاً نجد أنّ معبد أوجلة هو الموحى الأكثر تميّزاً لآمون وقد نال شهرة عالِية وتحوّل إلى محجّ يرد إليه العبدة من المناطق المجاورة[24]، على أنّ واحة أوجلة ارتبطت في كتابات المؤرخين القدامى بقبيلة ليبية قديمة هي النسامون Nasamones التي كانت ترد إليها موسمياً لجمع التمور. وكان موطنها الأصلي إلى شرق وجنوب شرق ساحل سرت الكبرى والأراضي الخلفية في عمق الصحراء حتى واحات أوجلة وجالو، وقد عرّف بهم هيرودوت[25] أولاً ثم ذكرهم ديودوروس[26] وسترابو[27] وسيليوس ايتاليكوس[28] وبليني[29] وبطليموس[30] وكوريبوس.[31]

---

[23] هيرودوت، الفقرة: (2: 18).

[24] لم يُعثر على هذا المعبد بعد، ولعلّه دفين الرمال في انتظار من يكشف عنه.

[25] هيرودوت: (2: 32) (4: 172).

[26] ديودوروس الصقلي: (2: 17: 50).

[27] سترابو: (2: 5: 33) و(17: 3: 20).

[28] إيتاليكوس: (1: 408) و(3: 320) و(13: 481).

ومن أقدم الإشارات إلى النسامون ما ذكره هيرودوت عن رحلة استكشافية قاموا بها للوصول إلى مجاهل العالم غير المعروفة آنذاك، وقد أورد أنّ بعض القورينيين زار ملك واحة سيوة وهو اتيارخوس Etiarchos الذي يبدو أنّه كان ملكاً-سادناً، فأخبرهم عن هذه المغامرة قائلاً إنّ النسامون «عبروا المنطقة الآهلة بالسكان وكانت المنطقة التي تليها من ليبيا تعجّ بالوحوش، فتجاوزوها باتجاه الغرب، وعبروا كثباناً رملية واسعة لعدة أيام، فالتقوا عند واحة مثمرة أقزاماً لم يعرفوا لغتهم، ولم يكن الأقزام يعرفون لغة النسامون، فاقتادوهم بين مستنقعات كبيرة إلى أن بلغوا مدينة الأقزام التي يعبرها نهر واسع يتدفق من الغرب إلى الشرق، وتملؤه التماسيح».[32] ولا يُعرف إلى أين انتهت تلك الرحلة التي يبدو أنّها ارتادت مجاهل الصحراء الكبرى وتوغلت إلى دواخل إفريقيا التي لم يعرفها أحد قبل ذلك.

يتضمن اسم النسامون اسم الإله أمون كما يبدو، ما يشير أيضاً إلى أنّ هذا الاسم ربما دلّ على عدّة قبائل ليبية قديمة اشتركت في عبادة الإله آمون مفترضين اتصالها بالأمونيات من سيوة شرقاً إلى جبال الأطلس غرباً، أي حيثما وُجدت هذه المعابد.[33] ولا يُدرى في ظل هذا الاحتمال ما إذا كانت قبيلة البسول أو البسيل Psyllii مثلاً، والتي ذكرها هيرودوت في تاريخه، قد كانت مبدأ النسامون، أو أنّ حدثاً، ربما كان طبيعياً أو ربما كان عقيدة جديدة، هو الذي أباد اسم البسيل إلى الأبد ليحل بدلاً عنه اسم النسامون. قال هيرودوت عن قبيلة البسيل: «هي قبيلة بائدة الآن، وهناك قصة يرويها الليبيون تقول إنّ الريح الجنوبية [القبلي] جفّفت ما كان في صهاريج البسيل من مياه، وتركتهم لا ماء لديهم أبداً، فانعقد مجلسهم وقرروا بالإجماع إعلان الحرب على الريح الجنوبية، فساروا إلى الصحراء حيث عصفت بهم تلك الريح ودفنتهم في الرمال، وهكذا امّحت القبيلة كلها، ثم استولى النسامون على أرضهم».[34] على أنّ استكشاف مواطن القبائل الليبية القديمة لا يخرج آخر الأمر عن اعتبار البسيل اسماً أطلق ذات يوم على أحد تجمعين قبليين، إما المكا أو النسامون.

هذا عن اسم النسامون أما عن موقعهم فقد كان النسامون يشغلون الساحل الشرقي بين مصر وسرت الكبرى. وأشار هيرودوت[35] إلى أنّهم إلى الغرب من الأسخيس Auschisae، وهي قبيلة

---

[29] بليني: (5: 33 -34).

[30] بطليموس: (4: 5: 12- 13).

[31] كوريبوس: (6: 154، 198، 552، 589، 593، 692) و(7: 65، 510) و(8: 95).

[32] هيرودوت: (2: 32).

[33] ذكر بليني (5: 5) أنّ الإغريق كانوا يسمونهم مسامونس Masamones، للإشارة إلى موطنهم، فهذه الكلمة تعني: في وسط الرمال، ولا نعثر على ذلك لدى أي من المؤرخين الآخرين.

[34] هيرودوت: (4: 173). ذكر سترابو(17: 1: 30) أيضاً أنّ البسول أو البسيل يتمتعون بحصانة ضد الثعابين فلا يخافونها.

[35] هيرودوت: (4: 172).

ليبية أشار هيرودوت[36] قبل ذلك إلى أنّها تتوطن جنوب مدينة برقة (المرج) وتتصل بالبحر بالقرب من يوسبيريدس (بنغازي)، أي أنّ النسامون وفق هذه الإحداثيات التاريخية كانوا ينتشرون في الجزء الشمالي مما يعرف ببرقة، اللهم إلا إذا كان الأسخيس أنفسهم قد كانوا إلى الشرق بأكثر مما هو محدّد، أي في مكان ما من الجزء الغربي لوادي النيل (محافظة الإسكندرية الآن). على أنّ بطليموس أشار إلى أنّ الأسخيس يقعون إلى الجنوب من النسامون، الأمر الذي يجعل النسامون بذلك قد استوطنوا الجزء الشمالي من برقة حتى جالو وأوجلة، أما سكيلاس فقال إنّ موطن النسامون يمتد إلى الغرب حتى مذبح الأخوين فليني، قرب سرت. وكانوا يجنون التمور شتاءً من واحات أوجلة[37]. ويعتبر هذا التداخل منطقياً إذا تذكرنا دائماً أنّنا في الحقيقة إنّما نتحدّث عن قبائل من الرحّل كانت تغير مواطنها موسميا.

ومن الإشارات التاريخية التي ميّزت النسامون ما رواه هيرودوت عن عاداتهم في دفن موتاهم قائلاً: «الليبيون الرحّل يدفنون موتاهم تماماً كما نفعل نحن في اليونان. أما النسامون فهم يدفنونهم في وضع الجلوس، ويحرصون بالنسبة للشخص الذي يوشك أن يموت ألا يموت وهو مستلق على ظهره»[38]. ولا نعرف على وجه التحديد ما هي الطقوس والمعتقدات التي كانت تفرض على المرء منهم أن يموت جالساً أو شبه واقف، كما لا يمكننا ربط ذلك بالصلاة للإله آمون، إلا أنّه من المعروف أنّ طقوس الدفن الليبية قد اتخذت أشكالاً عدةً منها الانثناء (وضع الجنين) أو الأربعاء (وضع الجلوس).

وكان من عاداتهم اتخاذ المقابر موحًى لهم فـ«إذا أراد أحدهم استطلاع المستقبل فإنّه يصلي ثم ينام على قبر أحد أسلافه، ويعتبر أي حلم يراه في منامه بمثابة وحي له»[39].

ويروي المؤرخون عن النسامون أنّهم كانوا مقاتلين أشداء دافعوا عن حدودهم، وأغاروا على السفن الرومانية أكثر من مرة وتسببوا في إغراقها، فوصفهم الرومان بالقراصنة، وقد ثاروا ضد الرومان في 85 - 86م، وانتشروا في مختلف أرجاء الشمال الإفريقي من سرت شرقاً إلى الحدود الحالية لتونس غرباً، كما

---

[36] هيرودوت: (4: 171).

[37] انظر: المحجوب، مادة: نسامون.

[38] ن.م.

[39] روى عنهم هيرودوت أيضاً أنّهم كانوا يعيشون في مشاعية جنسية، فكان «لكل رجل منهم عدة زوجات، ولكنهم يتبادلونهنّ بشكل عام، فإذا أراد رجل أن يضاجع امرأة عبّر عن رغبته بإقامة عمود من الخشب أمام باب مسكنها، ومن عادات رجالهم في الزواج الأول أن يقيم الواحد منهم حفلاً تحضره العروس فسيتمتع بها الضيوف واحداً بعد الآخر، بحيث يقدم لها كل منهم هدية يجلبها معه»، ويعتقد أنّ أرسطو نقل حديثه عن مشاعية النساء في ليبيا في كتاب «السياسة» عن هيرودوت في حديثه عن النسامون. معجم آمون، المادة.

انسحبوا إلى الواحات الجنوبية، بعد أن تعرضوا لحملة قادها الإمبراطور الروماني دوميتيان Domitian (51-96 م)».[40]

نشبت ثورة النسامون عندما كانت قبائلهم متوزعة بين ثلاثة تقسيمات إدارية رومانية من قورينا إلى حدود لبدة، وسبب ثورتهم رفضهم دفع الضرائب، وقد بدأ الصراع مع جامعي الضرائب أولاً فتم قتلهم، و«قام الممثّل الإمبراطوري سويليوس فلاكوس بتجهيز حملة لقمع التمرّد إلا أنّه هزم في معركته الأولى، وقام النسامون بنهب المعسكر الروماني، فأعاد فلاكوس تجميع وتنظيم قواته، وباغت النسامون الذين كانوا يحتفلون بانتصارهم، ويبدو أنّه أوغل في انتقامه حتى أنّ دوميتيان فاخر بعد ذلك بأنّه «استأصل شأفة النسامون».[41]

ويرى ماتنغلي بأنّ «الثورة لم تكن ببساطة على مسألة ضرائب أو دفع أتاوات، ولكنها تتعلق بعمليات الضم والإدماج وتشكيل المقاطعات».[42] إلا أنّنا في مقابل ذلك لا نستطيع إغفال أنّ جامعي الضرائب أرادوا تقديرها على أساس مساحات الأراضي دون اعتبار الغلال، والحال أنّ معظم مواطنهم هذه كانت صحراء غير ذات زرع، فقد رأوا في ذلك إجحافاً لا يطاق، وكان ذلك سبباً كافيًا لإشعال الثورة.

لم تكن هذه هي ثورة النسامون الوحيدة، فهذه القبيلة – كما هي القبائل الليبية بين غرب النيل والمحيط الأطلسي – كانت تأنف على الدوام من وجود الغرباء على أراضيها، فضلاً عن استغلالها والتحكّم بها وفرض القيود عليها. ولعلّ أسوأ ما نغّص على الرومان وجودهم في شمال إفريقيا هو ما قامت به هذه القبائل من غزوات متواصلة على المدن الرومانية والمدن والقبائل المتحالفة مع الرومان، وكانت هذه الغزوات سبباً مباشراً في إقامة ما عرف بخط التخوم الطرابلسية Limes Tripolitanus وهي على هيئة قوس يمتد من لبدة الليبية إلى قابس التونسية، ويعبر منها باتجاه الجزائر الحالية، وتعتمد هذه التخوم على نصب قوات مراقبة متقدمة وقلاع وحاميات في الدواخل، وقد أسّسها سبتموس سفيروس (حكم بين 193 و211م) وأراد بذلك درء تلك الغزوات وإخضاع القبائل الليبية للسلطة الإمبراطورية، لا سيما قبائل الغرمنت والنسامون، وكان أبعد قلاع هذه التخوم في بونجيم وغدامس، ويرجع تاريخ إقامة الحصن الأول إلى 201م، وتاريخ حصن غدامس إلى عهد الإمبراطور كركلاّ بن سبتيموس (211 - 217م).

[40] المحجوب، مادة: نسامون.

[41] المحجوب، مادة: ثورة النسامون.

[42] ماتنغلي، ص200

لا ندري على وجه التحديد كيف انتهى النسامون، ولكن من المرجح أنّ قبائل لواتة الكبيرة في أواخر القرن الثالث الميلادي قد امتصّت النسامون اجتماعياً، ويدلّ على ذلك إطلاق الشاعر كوريبوس اسم النسامون على محاربي لواتة الذين قاوموا البيزنطيين.[43]

14– أوجلة.. محجّ آمون

عُرفت واحة سيوة باسم آمون، أما المعبد الأكثر شهرةً بعد سيوة فهو معبد أوجلة وهي واحة تقع جنوب برقة، وعُرف سكانها باسم الأوجليين Augilae، وتشتهر بنخيلها الذي كانت ترد إليه القبائل الليبية لجمع تموره، وكانت مركزاً ثانيًا لكهنة الوحي، على أنّ بروكوبيوس خصّ هذا المعبد بالنبوءات، وأيده ميلا Mela في ذلك. وفي ملحمة يوحنا لكوريبوس Iohannid of Corippus نجد أنّ لواتة طلبت الوحي من آمون في مكان ما بخليج سرت، وقد رجّح البعض أنّ أوجلة هي المكان الذي قصده اللواتيون، ما لم يكن المقصود بذلك معبد خليج السدرة الذي ربما كان أمونكلا أو أمونيس.

وذكر هيرودوت أنّ أوجلة «على بعد مسيرة عشرة أيام من الأمونيين (أي واحة سيوة) على امتداد الشريط الرملي، ويوجد بها تل ملح مثل تل الأمونيين وينابيع مياه».[44] أما عند بروكوبيوس القيصري (عاش حتى 560م تقريباً) فإنّ أوجلة - كما مرّ بنا - اسم يشار به إلى «مدينتين قديمتين احتفظتا بعبادات الأقدمين»، ويعني جالو وأوجلة.

وقد ذكر بليني الأكبر أنّ «الأوجليين يعبدون قوى العالم السفلي فقط»[45]، ولا نعثر على هذه الإشارة عند غيره من المؤرخين، فإذا صحّت لا يمكننا تفسيرها إلا بأنّ آمون كان في إحدى صوره إلهاً للأموات عند الأوجليين.

15– خلاصة

كانت عبادة الشمس ممثّلةً برمز الحمل الذي يحمل قرص الشمس بين قرنيه سائدة منذ 5000 سنة ق.م. بين الليبيين القدماء، ولم تترك لنا الشواهد الأثرية اسماً له لغياب التدوين في شمال إفريقيا، إلى أن ظهر بهذا الاسم في مصر على متون الأهرام التي تعود إلى عهد أوناس، آخر ملوك الأسرة الخامسة، ثم ظهر باعتباره

[43] كوريبوس: (6: 154). ن.م.

[44] هيرودوت: (4: 182).

[45] بليني: (5: 8).

ممثلاً للزوج آمون – أمونيت في الثامون الإشموني، وفي عهد أمنمحات الأول (حكم من 1991 – 1962 ق.م) نقل مقدسه إلى طيبة ليكون الربّ الأعلى، وجُعل إلهاً قديماً خلق نفسه وخلق العالم تباعاً، واستقرّ رمزه كبشًا، ثم تم إسباغ صفات «رع» عليه وتجلّى في زمن الأسرة الثامنة عشرة (1292 - 1550 ق.م) باسم «آمون رع» باعتباره رباً لجميع الأرباب، واتخذ رمز الأوزة والحية، وفي عصر الأسرة السادسة والعشرين تم في عهد الملك أحمس (663 -525 ق.م) تشييد معبد سيوة، ثم تم تشييد معبد أوجلة، لتعود عبادته بهذا الرمز إلى شمال إفريقيا والصحراء من جديد، ويُوحَّد بزيوس وجوبيتر، ويتجلّى في معبودات أخرى أهمها بعل حمون وغرزل.

وفي بلاد النوبة كانت عبادة الكبش الكوشي في كرمة امتداداً لعبادة الحمل في الصحراء الكبرى منذ القدم قبل أن تخضع النوبة للدولة المصرية، ثم ألحق رمز الكبش الكوشي بعبادة آمون فظهر في مملكة مروى بهيئة آدمية لها رأس كبش، ومن مروى انتقل هذا الرمز إلى أبي سمبل مع قرص الشمس الذي يعلو رأسه.

إجمالاً يشي ظهور آمون في صورة كبش بالاتحاد بين آمون والحمل الليبي المعبود، من جهة، وبين آمون والكبش الكوشي، من جهة أخرى.

لائحة المراجع:

- أم الخير، العقون: المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب، مجلة التاريخ العربي، العدد 41، صيف 2007، المغرب.

- البرغوثي، عبداللطيف محمد: التاريخ الليبي القديم، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس، ليبيا، دار صادر، بيروت، 1971

- جودتشايلد، ر.ج: قورينا وابولونيا، ترجمة ونشر: إدارة البحوث، الإدارة العامة للآثار، وزارة التربية والإرشاد القومي، الجمهورية العربية الليبية، 1970

- ديزانج، جيهان. البربر الأصليون، ضمن تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني2، اليونسكو.

- المحجوب، عبدالمنعم: معجم آمون، دار تانيت، 2014

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com